مبدأ جديد في تشخيص الامراض

يظهر ان السر جمس مكنزي والمشتغلين معهُ تمكنوا من اكتشاف ما يحسب مبدأً جديداً في تشخيص الامراض . فان للمرض علامات تدلُّ عليهِ . وكان المظنون ان اعضاء الجسم الباطنة تشعر بالالم او تتألم ألماً يشعر بهِ صاحبها فيحسب شعورها من هذه العلامات . الاَّ ان ذلك كان في مرض الريب اي ان بعض الاطباء ارتابوا في شعور الاعضاء الباطنة بالالم وقالوا انها لا تشعر بهِ ابداً وانها اذا اصيبت بما يؤلم وشعر صاحبها بالالم فانما يكون مركز الالم في جلدهِ وعضلاتهِ التي في ظاهر جسمهِ اي ان الالم يكون خارج العضو المصاب وعلى الطبيب ان يستدلَّ منهُ على العضو المصاب وعلى نوع الاصابة واذا لم يعرف كيفية الاستدلال عسر عليهِ الاهتداء الى المطلوب

ثم ان الالم قد يحدث لسبب آخر غير آفة في احد الاعضاء فقد يحدث من اجهاد بعض الاعضاء السليمة فيظن صاحبها انها مأوفة وهي ليست كذلك وشعورهُ بالالم حينئذٍ لا يدلُّ على آفةٍ في جسمهِ . فاذا بطل إجهاد العضو بطل الشعور بالم. وانما يكون الشعور بالم في عضوٍ علامةً على وجود آفة فيهِ اذا لم يكن هذا الشعور ناتجاً عن اجهادهِ

وليس بين الاعضاء الباطنة والجلد الذي يشعر بالمها اذا أُجهدت شيءٌ من الاتصال المباشر فيأتي الشعور على طريق الاعصاب اي بواسطة العصب الممتد من العضو المجهَد الى الدماغ او الى الحبل الشوكي والعصب الممتد من الدماغ او الحبل الشوكي الى الجلد. وهذا الاتصال العصبي بمثابة خط التلغراف ينتقل الشعور بهِ من المشاعر اي من اعضاء اللمس والنظر والسمع والشم والذوق الى المركز العصبي الذي يشعر بهِ ويعلن شعوره بواسطة المشاعر ايضاً

فالمرض يعلن نفسهُ بالوسائل العادية التي تُطَرَّ بها سائر التأثيرات. وما علاماتهُ سوى شعور زائد يزيد على الشعور الصحي . فقد يكون الالم في عضو مسبباً من اجهاد ذلك العضو في القيام بعملهِ مع انهُ سليم. وقد يكون العمل المطلوب منهُ عادياً ولكنهُ يتألم منهُ لانهُ ضعيف لا يقوى على القيام بهِ بسهولة . والحالتان عاديتان

مألوفتان. وهناك حالة ثالثة وهي ان يشعر الانسان بالالم في عضو من اعضائه والعضو سليم وعمله عادي معتدل ولكن اعصابهُ الناقلة لشعوره مريضة او عملها مختل

فاذا كانت الاعصاب متهيجة كثيراً بسم وصل اليها فانها تكبّر التأثير الواصل اليها من الخارج فتطلب من العضو الذي تتسلط عليهِ جهداً كبيراً يتعبهُ ويؤلمهُ. فقد تجعل القلب يخفق خفقاناً شديداً مؤلماً لغير سبب موجب حتى يظهر كانهُ مريض او انهُ مدعوٌ فعلاً لعمل شاق مع انهُ سليم ولا يُطلب منهُ ان يعمل غير عملهِ العادي. والسبب الحقيقي لذلك كلهِ ان السم الذي اتصل بالاعصاب هيجها وزاد شعورها

ولذلك فكل نوع من علامات المرض يحدث إما من وجود مهيج قوي او من وجود مَرَض في العضو او من وجود سم في الاعصاب. واكثر علامات الامراض ناتج من اضطراب في الافعال العصبية

والغالب انهُ يسهل ان نعرف متى يكونُ عمل العضو قد صار فوق طاقتهِ. لاسيما وان ظهور المرض فيهِ لا يشتد قبل اجهاده بل بعدهُ. فالانتباه الى فعل الاعصاب مهم جدًّا في درس علامات المرض. وتغيير المسئلة ما هو السم الذي فعل بالاعصاب وجعلها سريعة الانفعال حتى ان اقل اجهاد يجعلها تحرك العضو ليعمل بكل جهده على غير موجب

نعلم ان بعض السموم مثل السترکنين والاتروبين تفعل ببعض الاعصاب وتسبب علامات مرضية قبل تفعل بها سموم الامراض مثل هذا الفعل فتسبب علامات مثل العلامات المرضية. أو لا يحتمل ان يكون اهم شيء في السل تسمم الدم به وتسمم الاعصاب لافعلهُ في الرئتين. ويتشى ذلك على ذات الرئة والتيفويد وما اشبه من الامراض

هذه المسئلة من اهم المسائل لانهُ ان كانت علامات السل ناتجة عن سم سبّب خللاً في الاعصاب لا عن تلف اصاب الرئتين فهذه العلامات تظهر قبلما يتمكن الداء من الرئتين لانهُ حالما يشرع سمهُ يفعل فعلهُ تظهر علاماتهُ فلا نضطر ان ننتظر تلف الرئتين قبلما نحكم ان المرض هو السل بل نعلم من العلامات الظاهرة انهُ السل بعينهِ ونسرع في ازالة سمهِ

هذا مثل واحد من امثلة كثيرة يفيد فيها هذا الاكتشاف البسيط. ثم اذا

كانت الامراض تفعل مباشرةً باعصاب الاعضاء وتزيد انفعالها او تقلله فلا ننتظر ان نرى علامات الاضطراب العصبي الاَّ اذا دعيت الاعضاء للعمل اي اذا وصلت اليها المؤثرات . كأن المرض وسيلة لجعل الاعضاء شديدة الاحساس او الانفعال كما ان المواد الكيماوية تجعل لوح التصوير الشمسي شديد الاحساس . فالعلامات ناتجة عن المؤثرات واذا عرفنا فعل المؤثرات واستعملناها علمياً فقد نعلم بواسطتها ماهية السم الموجود وفي اي قسم من المجموع العصبي هو فاعل

واخيراً ينبغي لنا ان نعلم حل المجموع العصبي الذي فعل به السم فصيِّرهُ شديد الانفعال بالمؤثرات يفعل بالعضو ويجعلهُ يعمل فوق طاقتهِ فيختل بناؤهُ اي يُصاب بمرض عضوي . وهنا نجد تعليلاً جديداً لما ينتج عن الامراض العدية من الآفات العضوية بعد زمن طويل من الاصابة بتلك الامراض . وقد نتمكن من منع الامراض العضوية بالاستدلال عليها قبلما تبلغ اشدَّها

وراثة الصفات المكتسبة

اذا اقام انسان ابيض في قلب افريقية سنين كثيرة حتى اسمرَّ وجههُ وبدنهُ كلهُ من التعرُّض لنور الشمس وحرارتها فهذا الاسمرار صفة مكتسبة . فهل ينتقل الى نسلهِ بالوراثة او لا ينتقل . للعلماء في ذلك مذهبان مشهوران طال الجدال بين انصار كلٍّ منهما الواحد يقول ان الصفات المكتسبة تنتقل بالوراثة والآخر يقول انها لا تنتقل . وظاهر الامر انها تنتقل ولذلك اسودَّت بشرة العرب الذين سكنوا السودان منذ عهد بعيد . ولكن اذا قطعت يد انسان وصار بيد واحدة فان ابنهُ لا يولد اقطع بيد واحدة . واذا كسرت رجل انسان ولما جبرت صار اعرج فان ابنهُ لا يولد اعرج . واذا جرح انسان في جبهتهِ وشفي جرحهُ واندمل فان اولادهُ لا يولدون وفي جباههم جروح مندملة . مع ان كل ذلك صفات مكتسبة . ولذلك يقولون ان ابن العربي الذي سكن السودان يولد ابيض ثم تسودُّ بشرتهُ لانهُ يتعرض لنور الشمس وحرارتها كما تعرَّض اسلافهُ من قبلهِ فهو لم يرث اسوداد البشرة وراثة بل اكتسبهُ اكتساباً كما اكتسبهُ اسلافهُ . غير انهُ يكون في رأينا اكثر من اولاد البيض تعرُّضاً لاسوداد البشرة كما سيجيء